كيف سنعيد الخلافة؟

١. تحديد القضية:

إن النظر في أي قضية يراد إيجادها والعمل لها يوجب فهم الواقع والمشكلة الواقعة، وتحديد الخلل، ثم الانطلاق لتحديد الهدف المنشود ثم البحث في الكيفية الموصلة لتحقيق هذا الهدف.

وإن القضية التي نحن بصددها هي أساس القضايا التي أصابت المسلمين، وهي رأس الأمر، ألا وهي غياب سلطان المسلمين، وغياب الحكم بالإسلام، فالمسلمون منذ بدء دعوة الإسلام لغاية ٢٨ رجب ١٣٤٢هـ ولهم سلطان وكيان ونظام، وكان السلطان يقوى ويضعف، لكنه بقي يمثل رمزية وجوهر وقلب ورأس المسلمين الذي منه ينطلقون، ومن خلاله يبدؤون، فكان ما عاناه المسلمين سابقا لا يزداد عن هجمات احتلال للأراضي الإسلامية، نتيجة ضعف هذا السلطان، فيهيئ الله من يُقوي هذا السلطان فيعيد الشوكة للمسلمين فيستعيدون أمجادهم وقوتهم وما احُتل من بلادهم، وينطلقون للفتوحات مستأنفين مسيرتهم من جديد، وفق سنة التدافع، قال الله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ).

لكن القضية الأخيرة التي طرأت على المسلمين مختلفة كليا عما سبق المسلمين من إشكالات عارضتهم، وهي غياب سلطان لهم يمثلهم بالأرض كلها، والذي نتج عنه كل المشكلات التي نعيشها من احتلال للأراضي، وهوان وقتل وسرقة للثروات، وفرض على المسلمين طريقة الغرب في العيش، وامتهان الإسلام، ومحاربة دعاته، ونصرة أعداء الإسلام على أبناء المسلمين، وتأخر المسلمين صناعيا وإنتاجياً وماديا وعلميا ... إلخ .

لذا كان تحديد القضية بداية هو أولى الأولويات التي من خلالها يتم تحديد الهدف، والذي يليه تحديد الكيفية الموصلة له.

٢. تحديد الهدف:

قلنا إن مشكلة المسلمين هي في غياب سلطانهم عن وجه الأرض كاملة، وإلغاء الإسلام كنظام حكم في الأرض كلها، وأن احتلال الأراضي والمقدسات هو نتيجة لغياب سلطانهم في الأرض.

فتصبح المسألة كيف نستعيد السلطان، وما هو نظام الحكم الذي سنحكم به؟.

وهذان السؤالان إن استطاع أي شخص إدراك أهميتهما وجوهرهما، أدرك القضية المصيرية للأمة الإسلامية، وأصبح من العاملين لها، إن صدق الله الطلب. فالهدف إذا هو استعادة السلطان للأمة وتحكيم الإسلام واستعادة السيادة له.

فالسلطان والسيادة هما لب الصراع القائم والهدف الذي نعمل للوصول إلى تحقيقه، فالسلطان هو الحكم وصاحب الصلاحية في الحكم، والسيادة هي المرجعية وهي مصادر التشريع التي ينبثق عنها نظام الحكم. فإن أردنا أن نختصر الأمر قلنا أن الهدف الذي نريد أن نصل إليه هو الحكم ونظام الحكم.

وعند قولنا أننا نريد إقامة الخلافة نعني أن الخلافة هي رئاسة عامة للمسلمين (الحكم والسلطان) جميعاً في الدنيا لإقامة أحكام الشرع الإسلامي (نظام الحكم)، وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم (مسؤولية نشر الإسلام).

فما هي الأعمال التي من شأنها أن تستعيد السلطان للأمة؟، وما هي الأعمال التي من شأنها أن تعيد الحكم للإسلام؟.

أ. الأعمال التي من شأنها أن تستعيد السلطان للأمة:

إن أي سلطان قائم يرتكز في وجوده على شرعية تُشرع وجوده، وعلى القدرة على تأمين مصالح الناس، وعلى حكمهم وفق قناعاتهم وأفكارهم.

وعلى من يريد استعادة سلطان مغصوب، عليه أن يضرب مرتكزات السلطان الغاصب (الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بالملك الجبري)، وضَرب مرتكزاته، وذلك بضرب علاقة السلطان الغاصب مع أهل السلطان المغصوب، فيعمل على كشف كذب الشرعية الوهمية التي قام عليها هذا الحكم الغاش، سواء أكانت متدثرة بنسب، أو نِسب تصويت الانتخابات الوهمية، أو كذبة تطبيق الإسلام الشكلية، فيوضح للأمة أن الشرعية تستمد من الحكم بالإسلام، وأن السلطان للأمة فهي التي تختار من يحكمها.

ويعمل على تسليط الضوء على كل مفاسد السلطان الغاصب، ونهبه للثروات، والسوء في تأمينه للمصالح، ويحرض الناس على المطالبة بحقوقهم؛ حتى يعتاد الناس على محاسبته، فيجرؤوا في قول أرائهم، فتتكسر الجبرية رويداً رويداً.

ويعمل على بث ونشر أفكار الإسلام بين الناس، حتى تعمل على تغيير قناعاتهم، فيدرك الناس أن الأنظمة تقود الناس بما يخالف قناعاتهم وأفكارهم ومعتقداتهم، فتكون العلاقة بين الناس والسلطان علاقة كره لا مودة، ينقاد فيها الناس بالإجبار، فيلعنون من يحكمهم ليل نهار.

ويتم الاتصال بمن يمثلون القوة والمنعة وبمن يمثلون قيادات الناس، حتى ينفضوا عن السلطان المغتصب ويعطوا السلطان إلى من يعمل لتغييره.

بهذا يتم زعزعة السلطان حتى يبدأ الناس وقياداتهم الذين هم أصحاب السلطان، وأصحاب القوة بالبحث عن سلطان بديل. هذه هي الأسس الأولى التي ينطلق منها في كيفية ضرب السلطان المغتصب لاستعادة السلطان للأمة.

ب. الأعمال التي من شأنها أن تعيد الحكم والسيادة للإسلام:

ويكون ذلك من خلال نشر أحكام الإسلام بين الناس، وبيان نظام الحكم الذي جاء به الإسلام، وعلى ضرب الأحكام و الأفكار التي تخالف أحكام الإسلام وأفكاره، وبيان مخالفتها للإسلام، وعلى إبراز مفاهيم العقيدة الإسلامية، وعلى جعل الأحكام الشرعية هي المقياس الذي يزن الناس به الأعمال من حيث القبول والرفض، ويبين أهمية الحكم بالإسلام وفرضيته على المسلمين، وضرورته الملحة للتخلص مما نتج عن تنحيته عن الحكم، ويعمل على استعادة ثقة الأمة بأحكام الإسلام، وعلى طرح أحكام الإسلام كمعالجات للمشاكل القائمة نتيجة غيابه عن التطبيق، وبيان أن الإسلام نظام حياة لا يختزل في المساجد، ويُصاغ مشروع حكم ونظام ودستور منبثق عن الإسلام يُبين للمسلمين، حتى يدركوا ويلمسوا وجود النظام الإسلامي كبديل عملي لما هو قائم.

هكذا يكون الناس قد ملكوا آلية العمل لاستهداف السلطان الجبري الغاصب، وملكوا النظام البديل الذي يريدون أن يطبقوه ويقيموا به سلطانهم الجديد.

ج. إن فقدان الأمة السلطان والسيادة للإسلام جعل الأعمال المطلوبة تحقق كلا الهدفين معاً

فبكل ضرب علاقة الأنظمة يذكر الإسلام والعاملين له كبديل للوضع القائم، ويتم تذكير من يمتلكون القوة بأن ينحازوا لأصحاب المشروع البديل، حتى يعطوه الحكم، ويخلعوه من النظام القائم، ولا بد من استمالة الذين يمتلكون القوة والمنعة ويمثلونها، لصالح المشروع البديل، حتى لا تدخل الأمة الإسلامية في صدامات داخلية بينها وبين من يمتلكون القوة من أبنائها.

٣. حاجة وفرضية العمل الجماعي لتحقيق الهدف:

إن أي هدف أو مشروع على مستوى أمة قطعاً لن يستطيع فرد بذاته أن ينجزه، ولذلك لا بد له من عمل جماعي يُعمل لتحقيقه.

ونجد أن الإسلام جعل من الفروض ما هو فرض على العين أي على كل شخص، ومنها ما يتجاوز قدرة وطاقة الشخص الواحد، فهو على الجماعة وسمي بفرض كفاية، وجعل الفرض مطلوباً القيام به حتى يتم تحقيقه وكفايته، وفرض الكفاية يحتاج إلى عمل جماعي منظم يتحدد فيه الهدف ويأتمره شخص، يتولى إدارته وضبطه، ويرتبط مدة هذا الفرض بتحقق الهدف الذي من أجله فرض، فإن كان استعادة أرض محتلة، فهو يختلف عن دفن ألاف الموتى نتيجة كارثة طبيعية.

وإن إعادة السلطان للأمة الإسلامية وإعادة تطبيق الإسلام هو فرض كفاية على الأمة الإسلامية كاملة، وهو بحاجة إلى عمل جماعي لكفاية وتحقيق هذا الفرض.

وإن النبي صلى الله عليه وسلم قد قام بتشكيل جماعة تعمل معه في مكة، سماهم الله لاحقا بالمهاجرين بعد إقامة الدولة، فقد كان لمصعب دور أعطاه إياه الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد كان لعبد الله بن مسعود دور، ولـ أبو بكر النسّاب دور، ولعمر بن الخطاب وحمزة دور، ولأسماء بنت أبي بكر دور، ولعلي بن أبي طالب دور، ولدار بن الأرقم دور، وكل هذه الأدوار كانت تحت إمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمن آمنوا به، وكانوا يعملون معه بشكل جماعي، فهو قائدهم الذي يوجههم.

ولقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب كافة العلاقات التي يقوم عليها النظام في مكة، سواء في العبادات أو المعاملات الاقتصادية والاجتماعية، أو لسادات قريش.

ومثال ذلك ما أُنزل من قرآن في المرحلة المكية، قبل إقامة الدولة.

(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)

(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)

(وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ)...

وقد أدركت قريش خطورة زعزعة أنظمتها وسلطانها، فكانت أول مداهنة ومبادرة ومفاوضة تقوم بها مع النبي صلى الله عليه وسلم هي بعرض الملك عليه وفق أنظمتها أو إعطائه المال أو تزويجه النساء، لكن النبي صلى الله عليه وسلم رفض ذلك، وقال لو وضعتم الشمس بيميني والقمر بشمالي على أن ترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.

وإجابة النبي صلى الله عليه وسلم واضحة وضوح الشمس، وهي أن المطلوب إظهار أمر الإسلام، بأن تكون السيادة للإسلام.

٤. عمل حزب التحرير لتحقيق التغيير الجذري واستئناف الحياة الإسلامية بقيام الخلافة.

أ. حدد الحزب القضية التي أضعفت الأمة الإسلامية وأوصلتها لما وصلت إليه، وهي غياب سلطان الإسلام، وغياب الحكم بالإسلام، فكما قيل الإسلام أس والسلطان حارس، وما لا أس له فمنهدم وما لا حارس له فضائع.

ب. حدد الحزب الهدف فجعل استئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة هي هدفه الذي يعمل لإيجاده.

ج. حدد الحزب الكيفية والطريقة الموصلة للهدف، فدرس سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كيفية بنائه للدولة الإسلامية في المدينة المنورة، والتزم بالسيرة النبوية خطوة

بخطوة، فأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة الدولة هي الأحكام الشرعية المطالبون بتنفيذها إن فقدت الأمة الإسلامية السلطان والسيادة.

د. بدأ الحزب بالمؤسس القاضي تقي الدين رحمه الله ثم انطلق للحلقة الأولى ثم الكتلة ثم الحزب، فكان عمله حزبيا جماعيا في الأمة بضرب علاقة الناس بالأنظمة، وفي طرح أفكار الإسلام وأنظمته، في الأمة لتحقيق الهدف.

هـ. عمل الحزب على ضرب علاقة الناس بالأنظمة الغاصبة للسلطان، حتى تزيد الهوة بين الناس وبينها، فتتخلخل أركانها ليسهل استبدالها، وفَضحَ علاقتها مع الغرب وتآمرها على بلاد المسلمين، ولم يترك مخططا يحاك على المسلمين إلا وحذر منه، وكشف خيانات الأنظمة بذلك.

و. طرح الحزب مشروع الدستور وشرحه، ونظام الحكم وأجهزة الدولة والنظام الاقتصادي والاجتماعي وكل ما له علاقة بنظام الحكم في الإسلام.

س. يقوم الحزب بتثقيف شبابه بالثقافة الإسلامية المركزة في الحلقات، فيتثقفون بالإسلام وأحكامه ويدركون أنظمة الإسلام في الحكم والاقتصاد والاجتماع والسياسة.

ح. يقوم الحزب بالاتصال بالناس بالزيارات وبالفعاليات والمؤثرين والسياسيين وقيادات الناس وأهل القوة، فيبين هدفه ويفضح هذه الأنظمة القائمة.

ط. لقد حدد حزب التحرير الكيفية التي سيعيد بها السلطان للأمة الإسلامية، وحدد معها نظام الحكم الذي سيحكم به، ففي كتاب منهج التغيير وضح منهجه في التغيير مبينا بالأدلة المفصلة كيفية سيره كما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قدم للأمة مشروعا للدستور الذي تبناه ليكون هدفا ومشروعا للأمة الإسلامية تجتمع عليه لإيجاده واقعا في حياتها، ثم يقوم من اختارته الأمة الإسلامية أن يكون صاحب السلطان فيها بالتعديل والإضافة بناء على الدليل الشرعي.

٥. دور الأمة الإسلامية والمساهمة في تحقيق الهدف:

إن الفروض التي طلب الله من المسلمين القيام بها هي فروض يمكن القيام بها، فلم يطلب الله منا مستحيلا. وعليه فالمساهمة بهذا العمل تكون على مستويين هما : **المناصرة** في العمل لتحقيق هذا الهدف **و حمل الدعوة** لتحقيق هذا الهدف.

والفرق بين المناصرة وحمل الدعوة أمران:

الأول: من حيث الحكم الشرعي أن الحكم من أجل تحقيق هذا العمل هو فرض كفاية، وهو على سبيل الإلزام، بأن يكون عملاً جماعياً، ويبقى ملزما للمسلمين لحين تحقق هذا الهدف، فحامل الدعوة الذي هو جزء من هذا العمل الجماعي قد تلبس بهذا الفرض، والمناصر للدعوة لم يتلبس بهذا الفرض رغم مناصرته للدعوة.

الثاني: من الناحية التكتلية، فإن حامل الدعوة يجبر على التثقف بالثقافة الإسلامية المركزة، ويدرس كافة أنظمة الإسلام، سواء في الحكم أو الاجتماع أو الاقتصاد وأجهزة الدولة ومواردها، ويدرس وجهة نظر الإسلام، ويشكل عقلية إسلامية تكون مرجعيته في الحكم على الأحداث من زاوية الإسلام، ويدرس السياسة والعلاقات الدولية، وكيف يفهم الأحداث السياسية، ويتحمل التبعات الحزبية، والتكاليف التي يطالب بها من دراسة وتدريس ونشر للدعوة واتصال بالمسلمين والمشاركة في الندوات والمؤتمرات إلخ ، أما المناصر فإنه لا يكلف بشيء ولا يدرس، فهو يكون قد اقتنع بفكرة أو أكثر من أفكار الدعوة، فأيدها فأصبحت وكأنها فكرته، فيعمل على نشرها.

إن حزب التحرير يعمل لاستئناف الحياة الإسلامية، وهو يعمل في المجتمع لإيجاد أفكار الإسلام فيه، لتسود على غيرها من أفكار ويعمل على ضرب علاقة الناس بالأنظمة الغاصبة للسلطان، فيمكن لأي شخص أن يساهم بنشر أفكار الإسلام بين المسلمين، وهكذا تكون المساهمة في تحويل قناعات الناس لقناعات وأفكار إسلامية.

ونشرك لهذه المادة هو جزء من المساهمة في نقل هذا الفكر للمسلمين لتحقيق التغيير المطلوب.